

قصص الأنبياء

[128] اللسان على وجه المصلحة لآحياء الخلق بالآيمان. الأمر الرابع: وجه الاستدلال بالأفول على عدم صلاحيتها للربوبية. (قال الرازي): الأفول عبارة عن غيبوبة الشيء بعد ظهوره. وإذا عرفت هذا فلسائل أن يقول الأفول إنما يدل على الحدوث من حيث أنه حركة وعلى هذا يكون الطلوع أيضا دليلا على الحدوث فلم ترك إبراهيم (ع) الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعول في اثبات هذا المطلوب على الأفول. (والجواب): أنه لا شك أن الطلوع والغروب يشتركان في الدلالة على الحدوث والا أن الدليل الذي يحتج به الأنبياء في معروض دعوة الخلق كلهم إلى الآله لا بد وأن يكون طاهرا جليا بحيث يشترك في فهمه الذكي والغبي والعاقل و دلالة الحركة على الحدوث وأن كانت يقينية إلا أنها دقيقة لا يعرفها إلا الأفاضل من الخلق. وأما دلالة الأفول فكانت على هذا المقصود، وأيضا قال بعض المحققين: الهوى في حظيرة الامكان. أقول: واحسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص وحصة الاوساط وحصة العوام، فإن الخواص يفهمون من الأفول الامكان وكل ممكن محتاج، و المحتاج لا يكون مقطعا للحاجة، فلا بد من الانتهاء إلى ما يكون منزلها عن الامكان حتى تنقطع الحاجات بسبب وجوده كما قال (وأن إلى ربك المنتهى). وأما الاوساط فانهم يفهمون من الأفول مطلق الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث محتاج إلى القديم القادر فلا يكون الآفل إلها بل الآله هو الذي احتاج إليه هذا الأقل. و أما العوام فانما يفهمون من الأفول الغروب وهم يشاهدون أن كل كوكب يقرب من الأفول فانه يزول فورا ضوؤه ويذهب سلطانه ويصير كالمعدوم ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية، فهذه الكلمة الواحدة أعني قوله (لا أحب الآفلين) مشتملة على نصيب المقربين واصحاب اليمين واصحاب الشمال، فكانت اكمل الدلائل وافضل البراهين، وفيه دقيقة أخرى وهي أنه عليه السلام كان يناظرهم وهم كانوا منجمين ومذهب اهل النجوم إذا كان في الربع الشرقي ويكون شاهدا إلى وسط السماء